كلمـة

ترجع بدايات صلتى مع الفن الروائى إلى سنى مراهقتى المبكّرة حين كانت تصدر فى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن سلسلة من الروايات المترجمة تسمى روايات الجيب كانت تباع فى حدود قرش واحد . كان بعضها مما نطلق عليه اسم الروايات البوليسية مثل روايات شرلوك هولمز وصديقه واطسون لسير آرثر كونان دويل وروايات أرسين لوبين للكاتب الفرنسى موريس لابلان ، وبعضها الآخر لكبار الكتاب العالميين أمثال تولستوى ودستيوفسكى وويلز وبول بورجيه وغيرهم ممن لا أذكرهم الآن ، لكنى أذكر أنه كان لهذه السلسلة الفضل فى غرس عادة القراءة فى حياتى . حتى أصبحت عادةً من عاداتى . ثم بدأت أقرأ لروائيينا المصريين ممارسًا على ما أقرأ أولى محاولاتى النقدية فى كراسة كتبت على غلافها « مطالعات فى الكتب » ، ولا أعرف إن كنت قد تأثرت فى ذلك العنوان بعنوان مماثل لأحد كتب العقاد أم ألفته كما ألفه هو . وتضم هذه الكراسة دراسات عن زينب لهيكل ودعاء الكروان لطه حسين وحديث عيسى بن هشام للمويلحى وإبراهيم الكاتب لإبراهيم المازنى وسارة للعقاد .. إلخ .

وشيئًا فشيئًا نمت هوايتى النقدية جنبًا إلى جنب مع هوايتى القصصية . وكان للرواية نصيب الأسد من هوايتى النقدية ، تأتى بعدها القصة القصيرة ، أما الشعر والمسرح فاكتفيت – إلا فيما ندر – بتذوقهما .

وقد كانت حصيلة هذه الرحلة مع الرواية حوالى خمسين دراسة لأكثر من ثلاثين كاتبًا يتراوحون ما بين جيل الرواد وجيلى والجيل الذى يتسلم الشعلة منا . وكما أنى لم أتحيّز لجيل معيّن فإنى لم أتحيز لمدرسة فكرية أو أدبية بعينها . لهذا فإنى أعتقد أن مجموع دراساتى تقدم صورةً متكاملةً لاتجاهات الأدب الروائى فى ثلث القرن الماضى ابتداءً من أواخر الأربعينات حتى نهاية السبعينات .

وكنت قد بدأت بإعادة نشر هذه الدراسات – بعد ترتيبها – فى كتاب « الروائيون

الثلاثة » ، وهذا الكتاب يضم جزءًا آخر من رحلتى مع الرواية العربية ، فلئن كان معظم الدراسات لروايات مصرية ، إلا أن هناك روايتين للدكتور سهيل إدريس صاحب مجلة الآداب البيروتية . وواضح من هذه الدراسات أنها – كما قلت – تضم أجيالاً مختلفةً ومدارس فنية وفكرية مختلفة . راجيًا أن تسهم هذه الرحلة – مع جهود زملاء آخرين فى الشكل القصصى والأشكال الأدبية الأخرى كالمسرح والشعر – فى تقديم صورة متكاملة لحركة أدبنا المعاصر .